# من أقاصيص الأولين

عرض : د. محمد أحمد خلف الله

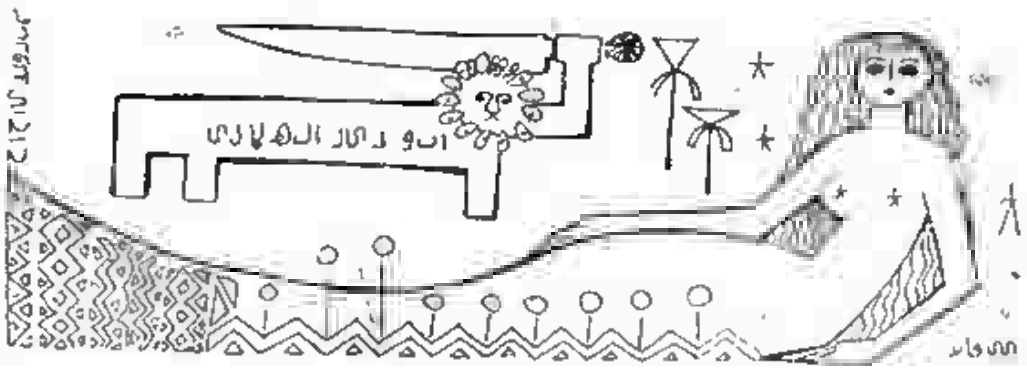

سمع يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بجمال ريحانة بنت اسحاق زوج عبد الله بن سلام العرشي ـ وكانت من أجمل النساء في وقتها ، وأحسنهن أدبا ـ وأكثرهن مالا ـ فتتل بها . فلما بلغ عبد الله ذكر ذلك لبعض خاصة أهله ـ واسمه رفيق ـ فذكر ذلك لمعاوية ، وقال له : ان يزيد قد ضاق ذرعه بها .

فبعث معاوية الى يزيد ، فاستفسره عن أمره ؟ فبث له شأنه .

فقال له : مهلا يا يزيد .

فقال له : علام تأمرني بالمهل وقد انقطع الأمل ؟

فقال له معاوية : فأين مروءتك وحجاك وتقاك ؟

فقال : قد عبل الصبر ، ولو كان أحد ينتفع فيما ينقل به من الهوى بتقاه ، أو يدفع القضاء بحجاه ، لكان أولى الناس به داود حين ابتلي به .

فقال معاوية : اكتم يا بني أمرك فان البـــوح به غير نافعك ، والله بالغ أمره منك ، ولا بد مما هو كائن .

وأخذ معاوية في الاحتيـــال في تطليق يزيد منها ، فكتب الى زوجها عبـــد الله بن ســـلام ـ وكان قد استعمله على العراق : أن أقبـــل حتى تنظر كتابي لأمر فيه حظك ان شاء الله تعـــالى فلا تتأخر عنه .

فأعد السير وقدم ، فأنزله معاوية منزلا كان قد هيىء له .

وكان عند معاوية يومئذ بالشام ابو هريرة وأبو الدرداء . فقال لهما معاوية : ان الله قد قسم بين عباده قسما ، ووصهم نعما أوجب عليهم فيها شكره ، وختم عليهم حفظها ، فجعلني منها بمرحل باذخ الشرف وأفضل الذكر ، وأوسع على الرزق ، وجعلني راعي خلقه وأمينه في بلاده ، والحاكم في أمر عباده، ليبلوني أأشكر أم أكفر . وأول ما ينبغي للمرء ان يتفقد ويتبصر من استرعاه الله أمره ، ومن لا غنى به عنه .

وقد بلغت بي امنية أريد رواحها والنظر في اختيار من يباعلها ، لعل من يكون بعدي يقتدي فيه بهديي ، ويتبع فيه أثري . فانه قد يئل هذا الملك بعدي من يتلعب عليه الشيطان ، ويحمله على تعضيل البنات ، فلا يرون لها كفئا ولا نظيرا . وقد رضيت لها ابن سلام القرشي ، لدينه وشرفه ، وفضله ومروءته وأدبه .

فقالا له : ان أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها ، وطلب مرضاته فيما اختصه ، لأنت .

فقال لهما معاوية : فاذكرا له ذلك عني ، وقد كنت حملت لها في نفسي شورى ، غير اني أرجو الا تخرج من رأيي ان شاء الله .

فخرجا من عنده ، واتيا عبد الله بن سلام ، وذكرا له القصة .

ثم دخل معاوية على ابنته ، وقال لها : اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة ، فعرضا عليك امر عبد الله بن سلام ، وحضاك على المسارعة الى اتباع رأيي فيه ، فقولي لهما : انه كفء كريم وقريب حميم ، غير أن نحته ريب ست اسحاق ، وأخاف أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء ، فأتناول منه ما يسخط الله تعالى فيه ، فيعذبني عليه ، ولست بفاعلة حتى يفارقها .

فلما اجتمع أبو هريرة وأبو الدرداء بعبد الله ، وأعلماه بقول معاوية ، ردهما اليه يخطبان له منه ، فأتياه ، فقال : قد علمتما رضائي به وحرصي عليه ، وكنت قد أعلمتكما الذي حملت لها في نفسها من الشورى ، فادخلا عليها ، وأعرضا عليها الذي رأيت لها .

فدخلا عليها ، وأعلماها ، فقالت لهما ما قاله معاوية لها ، فرجعا الى ابن سلام ، وأعلماه بما قالته .

فلما ظن أنه لا يمنعها منه الا فراق ريب أشهدهما بطلاقها ، وأعادهما الى ابنة معاوية .

فأتيا معاوية ، وأعلماه بما كان من فراق عبد الله زوجته ، رغبة في الاتصال بابنته . فأظهر معاوية كراهة فعله ، وفراقه لريب ، وقال : ما استحسنت له طلاق امرأته ، ولا أحببته ، فانصرفا في عافية ، ثم عودا اليها ، وجدا رضاها .

فقاما ثم عادا اليه ، فأمرا بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها ، وقال : لم يكن لي أن أكرهها ، وقد جعلت لها الشورى في نفسها .

فدخلا عليها فأعلماها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسرها ، وذكرا من فضله وكمال مروءته وكرم محتده . فقالت لهما : انه في قريش لرفيع القدر ، وقد تعرفان أن الأناة في الأمور أرفق لما يخاف من المحذور ، وانى سائلة عنه حتى اعرف دخلة أمره ، وأعلمكما بالذي يريبه الله لي ، ولا قوة الا بالله .

فقالا : وفقك الله ، وخار لك ، وانصرفا عنها ، وأعلما عبد الله بقولها فانشد :

فان يك صدر هذا اليوم لي ... فان غدا لناظره قريب

وتحدث الناس بما كان من طلاق عبد الله ريب ، وخطبته ابنة معاوية ، ولاموه على مبادرته بالطلاق قبل احكام أمره وابرامه .

ثم استحث عبد الله أبا هريرة وأبا الدرداء ، فأتياها وقالا لها : ـ اصنعي ما أنت صانعة ، واستجيري الله فانه يهدي من استهداه .

فقالت : ـ أرجو أن يكون الله قد خار لي ، وقد استبرأت أمره ، وسألت عنه ، فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي . ولعله اختلف من استشرته فيه ، فمنهم الناهي عنه ، ومنهم الآمر به ، واختلافهم أول ما كرهت .

فلما سمعا كلامها علما أنه مخدوع ، وقال : ـ ليس لأمر الله راد ، ولا لما لا بد منه صاد . قال المرء وان كمل حلمه ، واستحكم له عقله ، واستد رأيه ، ليس يدافع عن نفسه قدرا يراه ولا كيد ، ولعل ماسروا به ، واستحدثوا له ، لا يدوم لهم سروره ، ولا يصرف عنهم محذوره .

وداع امره ، وقضا في الناس . وقالوا : ـ خدعه معاوية حتى طلق امرأته ، وانما أرادها لابنه ، وقبحوا فعله .

فتمت مكيدته تلك ، لكن المقادير أتت بخلاف تدبيره . وذلك أنه لما انقضت أقراء زينب ، وجه معاوية أبا الدرداء الى العراق ، خاطبا لها على ابنه يزيد ، فخرج حتى قدم الكوفة ، وبها يومئذ الحسين ابن علي رضي الله عنهما ، فبدأ أبو الدرداء بزيارته ، فسلم عليه الحسين ، وسأله عن سبب مقدمه . فقال : ـ

وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد زينب بنت اسحاق ، فقال له الحسين : ـ

لقد كنت أردت نكاحها ، وقصدت الارسال اليها اذا انقضت أقراؤها ، فلم يمضني من ذلك الا تخير مثلك ، فقد أتى الله بك ، فاخطب ـ رحمك الله ـ علي وعليه ، فتخير من اختاره الله لها ، وهي أمانة في عنقك حتى تؤديها اليها ، وأعطها من المهر مثل ما بذل معاوية عن ابنه .

فقال : ـ افعل ان شاء الله .

فلما دخل عليها أبو الدرداء قال : ـ أيتها المرأة ، ان الله خلق الأمور بقدرته ، وكونها بعزته فجعل لكل أمر قدرا ، ولكل قدر سببا ، فليس لأحد عن قدر الله محيص ، ولا للخروج عن أمره مهرب ، فكان مما سبق لك ، وقدر عليك ، الذي كان من فراق عبد الله بن سلام اياك ، ولعل ذلك لا يضرك ، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها ، وولي عهده ، وخليفته من بعده ، يزيد بن معاوية ، والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيد شباب أهل الجنة ، وقد ملفك شأنهما وسأوهما وفضلهما ، وقد جئتك خاطبا عليك فاختاري أيهما شئت .

فسكتت طويلا ثم قالت : ـ يا أبا الدرداء ، لو أن هذا الأمر جاءني وأنت غائب لاستخرت فيه الرسل اليك ، واستمت فيه رأيك ، ولم أقتطعه دونك ، فأما اذا كنت أنت المرسل ، فقد فوضت أمري بعد الله اليك ، وجعلته في يديك ، فاختر لي أرضاهما لديك ، والله شاهد عليك ، فاقض في أمري بالتحري ، ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى ، فليس أمرهما عليك هينا ، ولا أنت عما طوقتك عيا .

فقال : ـ أيتها المرأة ، انما على اعلامك ، وعليك الاختيار لنفسك .

قالت : ـ عما الله عنك ، انما أنا امة أحبك ، ولا عني لي عنك ، فلا تسمك رهبة أحد عن قول الحق فيما طوقتك ، فقد وجب عليك أداء الأمانة فيما حملتك ، والله خير من روعي وخيف ، انه بنا خبير لطيف .

فلما لم يجد بدا من القول والاشارة ، قال : ـ

أي بنية ـ ان ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي وأرضى عندي ، والله أعلم بخيرهما لك .

قالت : ـ قد اخترته ، وأردته ، ورضيته .

فتزوجها الحسين ، وساق لها مهرا عظيما ، فسلم ذلك معاوية ، فتماطله ولام أبا الدرداء لوما شديدا ، وقال : ـ

من يرسل ذا نطه وعمي يركب خلاف ما يهوى .

ثم اطرح معاوية عبد الله بن سلام ، وقطع عنه جميع روافده ، لسوء قوله فيه ، وتهمته أنه خدعه ، ولم يزل يجهوه حتى نحل صبره ، وقل ما في يده .

فرجع الى العراق ، وكان قد استودع زينب قبل طلاقه مالا عظيما ، ودرا كثيرا ، فظن أنها تجحده ، لسوء فعله بها ، وطلاقها من غير شيء كان منها .

فلقي الحسين فسلم عليه ثم قال : ـ

قد علمت ما كان من خبري وخبر زينب ، وأني قد استودعتها مالا ، ولم أقبضه ـ وأثنى عليها ـ وقال له : ذاكرها أمري ، واحضضها على رد مالي .

فلما انصرف الحسين اليها ، قال لها : ـ

قد قدم عبد الله بن سلام ، وهو يحسن الثناء عليك ، ويحمل الشكر لك في حسن صحبتك ، وما آنسه قديما من أمانتك ، فسرني ذلك وأعجبني ، وذكر أنه قد استودعك مالا ، فادي اليه أمانته ، وردي عليه ماله ، فانه لم يقل الا صدقا ، ولم يطلب الا حقا .

فقالت : ـ صدق استودعني مالا لا أدري ماهو ، فادفعه اليه بطابعه .

فأثنى عليها الحسين خيرا ، وقال : ـ

ألا أدخله اليك حتى تبرئي اليه منه كما دفعه اليك ؟

ثم لقي عبد الله ، وقال : ـ

ما أنكرت مالك ، وانها رغبت أنه بطابعك . فادخل اليها وتسلم مالك منها .

فقال : ـ أوما أمر من يدفعه الي ؟

قال : ـ لا ، بل تقبضه منها كما دفعته اليها .

ودخل عليها الحسين وقال : ـ هذا عبد الله قد جاء يطلب وديعته .

فأخرجت اليه البدر ، فوضعتها بين يديه وقالت : ـ هذا مالك .

فشكر وأثنى .

وخرج الحسين عنهما ، وخص عبد الله بن سلام بخواتم بدره ، وحثى لها من ذلك ، وقال : خذي فهو قليل مني .

فاستعبرا جميعا حتى علت أصواتهما بالبكاء ـ أسفا على ما امتليا به ، فدخل الحسين عليهما ، وقد رق لهما ، فقال : ـ

أشهد الله أني طلقتها . اللهم انك تعلم أني لم أتزوجها رغبة في مالها ولا جمالها ، ولكني أردت احلالها لبعلها .

فسألها عبد الله أن تصرف الى الحسين ما كان قد ساقه اليها من مهر ، فأجابته الى ذلك . فلم يقبله الحسين وقال : ـ

الذي أرجوه من الله خير لي .

فلما انقضت أقراؤها تزوجها عبد الله ، وحرمها الله يزيد بن معاوية .

## ـ ٢ ـ

### يوم الحســـاب

قال أحد الرواة : ـ

كان في زمن المهدي رجل صوفي يركب قصبة في كل جمعة يومين ـ الاثنين والخميس . فاذا ركب في هذين اليومين عليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة ، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان .

شاهدته يوما وقد صعد تلا ، فنادى بأعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون ؟ اليسوا في أعلى عليين ؟ .

فقالوا : ـ بلى .

قال : ـ هاتوا أبا بكر الصديق .

فأحد غلام فأجلس بين يديه .

فقال : ـ جزاك الله خيرا أبا بكر عن الرعية ، فقد عدلت وقمت بالقسط ، وحلمت محمدا عليه السلام في حسن الخلافة ، ووصلت حبل الدين بعد حل وتارع ، وفرعت منه الى أوثق عروة وأحسن ثقه ، اذهبوا به الى أعلى عليين .

ثم نادى : هاتوا عمر .

فأجلس بين يديه غلام .

فقال : ـ جزاك الله خيرا أبا حفص عن الاسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووسعت الفيء ، وسلكت سبيل الصالحين ، وعدلت في الرعية ، اذهبوا به الى أعلى عليين بحذاء أبي بكر .

ثم قال : ـ هاتوا عثمان .

فأتي بغلام فأجلس بين يديه .

فقال له : ـ خلطت في تلك السنين ، ولكن الله تعالى يقول : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ، ثم قال : ـ اذهبوا به الى صاحبيه في أعلى عليين .

ثم نادى : ـ هاتوا علي بن أبي طالب .

فأجلس بين يديه غلام .

فقال له : ـ جزاك الله عن الأمة خيرا أبا الحسن فاتت الوصي ، وولي النبي ، بسطت العدل ، ورهدت في الدنيا ، واعتزلت الفيء ، فلم تحتش فيه نار ولا شعر ، وأنت أبو الذرية المباركة ، وزوج الزكية الطاهرة ، اذهبوا به الى أعلى عليين .

ثم قال : ـ هاتوا معاوية .

فأجلس بين يديه غلام .

فقال له : ـ أنت القاتل عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، وأنت الذي حمل الخلافة ملكا ، واستأثر بالفيء ، وحكم بالهوى ، وبطر بالنعمة ، وأنت أول من غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقض أحكامه ، وقام بالبغي . اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة .

ثم قال : ـ هاتوا يزيد .

فأجلس بين يديه غلام .

فقال له : ـ أنت الذي قتلت أهل الحرة ، وأبحت المدينة ثلاثة أيام ، وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأولدت الملحدين ، ونزت باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمثلت بشعر الجاهلية .

ليت أشياخي ببدر شهدوا  جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلت الحسين ، وحملت بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على حقائب الابل . اذهبوا به الى الدرك الأسفل من النار .

ولم يزل يذكر واليا بعد وال حتى بلغ الى عمر بن عبد العزيز فقال : ـ هاتوا عمر .

فأتي بغلام فأجلس بين يديه .

فقال : ـ جزاك الله خيرا عن الاسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ، وأنرت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق ، اذهبوا به فألحقوه بالصديقين .

ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء الى أن بلغ دولة بني العباس فسكت .

فقيل له : ـ هذا أبو العباس أمير المؤمنين .

قال : ـ فبلغ أمرنا الى بني العباس . ارفعوا حساب هؤلاء جملة ، والقوا بهم في النار جميعا .